

الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل " (٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)

مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

الاستيطان الإسرائيلي في القدس وأثره في إحداث تغييرات ديموجرافية في المدينة

الدكتور فاروق أحمد مصطفى

أستاذ الأنثروبولوجيا - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مقدمة

انعقدت بالقاهرة ندوة دولية حول القدس الشريف تحت شعار " القدس مدينة السلام " فى الفترة من ١١ - ١٣ شوال ١٤١٥هـ ، ١٢ - ١٤ مارس ١٩٩٥ والتى عقدتها منظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية بهدف تأكيد موقف الأمة العربية والإسلامية والقوى المحبة للسلام الداعم للحق الفلسطينى فى قضية القدس الشريف بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وضرورة عودتها إلى السيادة الفلسطينية ، وقد أدان المجتمعون الإجراءات الإسرائيلية المتمثلة فى الاستيلاء على الممتلكات والأراضى العربية واستمرارها فى بناء وتوسيع المستوطنات فى القدس الشريف ومطالبتهم إسرائيل بشأن وقف الاستيطان اليهودى فى الأرض الفلسطينية والعربية المحتلة بما فيها مدينة القدس الشريف .

وتؤكد هذه الدراسة على تطور ظهور الاستيطان الإسرائيلى فى فلسطين وفى مدينة القدس منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن ، وتوضح أهمية دراسة هذا الموضوع وتأثير عمليات الاستيطان الإسرائيلى فى إحداث تغييرات ديموجرافية فى مدينة القدس الشريف . وقد اشتملت هذه الدراسة على الجوانب التالية :

- المفاهيم الأساسية للديموجرافيا والاستيطان وأثر الهجرة اليهودية في إحداث التغيرات المختلفة .

- تطور الاستيطان الإسرائيلي منذ القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين بالنسبة لفلسطين كلها وما أحدثه من تغيرات تؤكد الإحصاءات المنشورة والتي تم تحليلها بمعرفة الباحث .

- تناول البحث بعد ذلك القدس ونشأتها التاريخية وسكانها قبل الهجرات اليهودية المتتالية وأثر الاستيطان على المدينة المقدسة والتغيرات المختلفة التي حلت فيها حتى الآن .

- إشارة إلى أهم نتائج الدراسة في أن الاستيطان الإسرائيلي قد أحدث تغيرات ديموجرافية فضلاً عن تغيرات أخرى اجتماعية متعلقة بالصراع الإسرائيلي العربي في فلسطين وعلى وجه الخصوص في القدس .

(١)

نتناول في هذا الجزء من الدراسة بعض المفاهيم الأساسية التي نستخدمها في التحليل الذي نعنى به عملية تلخيص كل ما تم جمعه من معطيات أو بيانات أو حقائق ، وذلك من خلال تصنيف هذه المعطيات وإيجازها وتجميع شتاتها في صورة نتائج أكثر عمومية من جزئيات المعطيات والبيانات التي تم جمعها (١).

ويحتل مفهوم الديموجرافيا Demography في هذا البحث وضعاً خاصاً باعتبار أننا ندرس سكان مدينة القدس ، ومن المعروف أن علم الديموجرافيا يبحث السكان من حيث أعدادهم والتغيرات التي تطرأ عليهم والعوامل التي تنشأ عنها هذه التغيرات ، كما يهتم أيضاً بدراسة التركيب السكاني ، وبذلك ينقسم السكان إلى مجموعات متماثلة على أساس النوع والسن والحالة الاجتماعية والتوزيع المهني والتعليمي والديني حتى تبدو الصفات السكانية واضحة وما يترتب عليها من آثار اقتصادية وأوضاع اجتماعية .

وتستعين الدراسات الديموجرافية بالطرق الإحصائية بعد تطويرها وملاءمتها لطبيعة البيانات الديموجرافية ، فميدان علم الديموجرافيا يتسع ليشمل أيضا دراسة التحويلات السكانية الطويلة المدى ومحاولة تحليل أسبابها وتحديد أساليبها . ومما هو جدير بالذكر أن الديموجرافيا أنواع : تاريخية تعرض للسكان قبل ظهور الإحصائيات الحديثة ، ورياضية تدرس تطور السكان تطوراً عددياً ، ووصفية تبين خصائص السكان ومميزاتهم وهناك توقعات ديموجرافية تشير إلى مستقبل السكان ونموهم وثورات ديموجرافية يزيد فيها عدد السكان زيادة غير عادية (٢) .

وإذا نظرنا إلى السكان على أنهم نسق اجتماعي ، فلا بد من تحليل هذا النسق إلى عناصره الرئيسية من حجم وتكوين وتوزيع وهجرة . وهذه العناصر السكانية محور الاهتمام الأساسي في الدراسات الديموجرافية وذلك نظراً لتغير حجم النسق نتيجة لتغيير العمليات السكانية المختلفة حيث يموت بعض أعضاء النسق ويولد غيرهم ويهاجر بعضهم إلى مناطق أخرى ، كما أن النسق أيضا يستقبل أعضاء آخرين مهاجرين إليه باختيارهم أو مهجرين إليه بالقوة (٣) كما هو الحال عند دراستنا للنسق الديموجرافي لمدينة القدس والتغيرات المختلفة التي حدثت بها نتيجة الهجرات اليهودية المختلفة .

ويرتبط موضوع الاستيطان بشكل رئيسي بمفهوم الهجرة Migration التي يقصد بها حركة مجموعة السكان داخل موطنها أو إلى موطن آخر وقد تكون هذه الهجرة موسمية طلباً للمياه أو الكلاً ، كما قد تكون دائمة بسبب الكوارث الطبيعية أو الحروب أو البحث عن مستوى معيشي أفضل . ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصطلح الهجرة مصطلحان رئيسيان هما الهجرة الداخلية immigration وهي تحركات سكانية داخل حدود الدولة أو الإقليم وتتم في العادة بين موطنين أو موقعين أحدهما مزدحم بالسكان ويكون الثاني أقل ازدهاراً بالسكان ، أما المصطلح الآخر وهو الهجرة الخارجية Emigration وهي هجرة الجماعة إلى موطن آخر خارج موطنها وحدودها الإقليمية التقليدية بهدف الإقامة الدائمة في الموطن الجديد . وعادة ما تحدث الهجرة الخارجية بسبب الكوارث أو الحروب أو التهجير بالقوة أو طلباً لمستوى معيشي أفضل (٤) . وقد يسمى بعض الاجتماعيين الهجرة الداخلية بالهجرة الأولية ، أما الهجرة الخارجية فيطلقون عليها مصطلح الهجرة الثانوية وهي مصاحبة للعنف لمحاولتها إفساح مكان لها قد يكون على حساب غيرها ، أو

أن تكون الهجرة أيضا قهرية .كالتى تحدث للفارين من الغزاة وهذا ما حدث للفلسطينيين بعد حرب ١٩٦٧ (٥).

وقد تأثر وضع سكان فلسطين من نتائج الحرب العربية الإسرائيلية التى نشبت فى كل من عامى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ فنتج عن حرب عام ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل فوق غالبية الأراضى الفلسطينية (٧٩٪ من مساحة فلسطين وتشتت عرب فلسطين فى خارجها وداخلها ، إذ هاجر أكثر من ٨٠٠ ألف عربى فلسطينى من ديارهم وأقام بعضهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهما المنطقتان العربيتان اللتان حافظ كل من مصر والأردن عليهما من الاحتلال الصهيونى ، وأقام بعضهم الآخر خارج فلسطين فى الدول العربية المجاورة وبقي نحو ١٥٠ ألف عربى فى ديارهم خاضعين للاحتلال الصهيونى ، أما سكان الضفة الغربية فإنهم ضُمنوا إلى الأردن فى وحدة مع الضفة الشرقية .حتى يونيو ١٩٦٧ عندما خضعوا للاحتلال الصهيونى على إثر الحرب العربية الإسرائيلية التى نشبت فى هذا العام . وأما سكان قطاع غزة فإنهم وضُعوا تحت الإدارة المصرية حتى يونيو عام ١٩٦٧ عندما تعرضوا للاحتلال الصهيونى أيضا . وبذلك أصبحت فلسطين بأكملها خاضعة للاحتلال الصهيونى ويقيم فيها أقل من مليونى فلسطينى يعانون أبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى الصهيونى بينما يقيم حالياً نحو ٢٧ مليون عربى فلسطينى خارج فلسطين ، وقد حل المهجرون واليهود الذين قدموا إلى فلسطين من الخارج بعد عام ١٩٤٨ محل هؤلاء العرب الذين أُجبروا على الهجرة ومغادرة ديارهم والذين لم تسمح سلطات الاحتلال الصهيونى لهم بالعودة كما هو موضح بالجدول التالى (٦).

جدول رقم (١). عدد العرب الفلسطينيين حسب مكان الإقامة (١٩٨١) بالآلاف نسمة .

| مكان الإقامة | عدد السكان | مكان الإقامة | عدد السكان |
|---------------------------|------------|----------------------------|------------|
| الضفة الغربية | ٨٣٣ | لبنان | ٤٩٢ر٢ |
| الضفة الشرقية | ١١٤٨ر٢ | ليبيا | ٢٣ر٧ |
| الكويت | ٢٩٤ر٩ | الإمارات العربية المتحدة | ٣٧ر٠٠ |
| مصر | ٣٤٣ر٠٠ | قطر | ٢٤ر٠٠ |
| قطاع غزة | ٤٥١ر٦ | باقي الدول العربية | ٥١ر٠٠ |
| سوريا | ٢٢٥ر٢ | البحرين | — |
| العراق | ٢٠ر٦ | الولايات المتحدة الأمريكية | ١٠٥ |
| السعودية | ١٣٧ | عمان | — |
| فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧) | ٥٥٠ر٨ | باقي دول العالم | ١٤٠ |
| | | المجموع | ٤٥٦٦ر١ |

(٢)

تري الصهيونية أن عمليات الاستيطان داخل فلسطين تحقق الذات اليهودية رغم خرق هذه العمليات لكل القوانين الدولية ، بينما يرى العرب والفلسطينيون أن هذا الاستيطان كارثة أحلت بهم وبوطنهم ، ومهما اختلفت الآراء سيظل الاستيطان ظاهرة فريدة ربما لم يشهد التاريخ لها مثيلا.

ومنذ نشوء الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر استمرت وبشكل متواصل حركة الصراع خصوصا بعد أن اتضحت النوايا . ومنذ البداية كانت النظرة

التي سيطرت على المستوطنين بالنسبة للمواطنين الفلسطينيين أنهم أقل قيمة منهم وأنهم أغراب مقيمون في هذه البلاد التي منحها لهم الرب ، لأن اليهود يؤمنون عن اعتقاد عميق بأن الجنس البشري كله ينقسم إلى قسمين : القسم الأول هو اليهود Jews وهم الصفوة شعب الله المختار ، والقسم الثاني هو الأمم Pentiles وهم الآخرون جميعاً ، وأن الإله Jahovah قد اختار شعباً له - هو هذه الصفوة - وفضلها على العالمين . ويفسر المتشددون منهم للشهود على أنه قد أباح لهم أرواح وأموال الأمم وأنها أصبحت جميعاً جلا وحقاً لهم ، فلا عقاب ولا تثريب على من قتل أو سلب مال غير اليهودي ، مبررين تصرفاتهم بأنها جاءت جزاء وحقا لما لاقته هذه الصفوة المختارة على مدى أجيال من الاضطهاد وسوء المعاملة (٧).

ويمكن تحديد أثر الاستيطان الإسرائيلي عند دراستنا لأوضاع الملكية للأراضي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وحتى الآن ولمصادرة الأراضي وبناء المستوطنات ، كما أن هناك مؤشراً هاماً على ذلك عندما ندرس هجرة اليهود الخارجية إلى فلسطين في السنوات المختلفة .

فبالنسبة لملكية الأراضي نجد أنه حتى عام ١٨٥٥ لم تكن لليهود أى ممتلكات تذكر خارج مدن فلسطين باستثناء القدس والخليل وصفد وطبريا . وبدأ أحد الشخصيات اليهودية بشراء مساحة ١٠٠ دونم قرب يافا وتتابع شراء الأراضي في السنوات التالية بمعرفة اليهود إلى أن وصلت ممتلكاتهم من الأراضي في نهاية ١٨٨٢ نحو ٢٢ ألف دونم . واستمرت عملية الشراء ، وبلغت مساحة الأراضي مع انتهاء الحرب العالمية الأولى ٤١٨ ألف دونم ، زادت في فترة الانتداب . وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل ، أصبحت مساحة إسرائيل حسب خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ حوالي ٢٢٠.٠٠٠ ر ٢٢ دونم منها ٤٢٥ ألف دونم مساحات مائية ثم واصلت السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ استيلائها على الأراضي العربية ، ليست فحسب تلك التي اضطر أصحابها إلى تركها - العرب الذين أجبروا على تركها - نتيجة للجوهر إلى الأقطار المجاورة ، بل كذلك لأراضي المواطنين العرب الذين وصلوا الإقامة في فلسطين خلال فترة ثلاثين عاما (١٩٤٨ - ١٩٧٨) فصادرت السلطات الإسرائيلية نحو ٤٠٪ من الأراضي التي يملكها العرب . وساعدت حرب يونيو ١٩٦٧ على استيلاء إسرائيل على الأراضي العربية

المحتلة لتنفيذ السياسات الاستيطانية في الأراضي المحتلة ، فقامت بسلسلة من الإجراءات للسيطرة على أراضي المواطنين العرب ، وقامت بتدمير القرى الفلسطينية وإصدار مجموعة من القوانين الإسرائيلية التي تستهدف السيطرة على أراضي المواطنين العرب كقانون المناطق المحتلة ١٩٤٩ ويتيح لرئيس الإسكان إغلاق أى مساحة من الأرض بحجة التدريبات العسكرية حيث لا يسمح بالدخول إليها إلا بموجب تصاريح من الحكام العسكريين ، وقانون مناطق الأمن وقانون استهلاك الأرض ، وقانون امتلاك الغائبين الذى يعطى حق استعمال الأراضي التى تركها العرب الذين أجبروا على تركها ، وقانون التصرف ، وقانون ضريبة الأملاك ١٩٧٢ الذى اعتبر أن الأراضي الزراعية أراض معدة للبناء وفرض عليها ضرائب تصل إلى ٤٢٪ من قيمة الأرض وبعد أن تقدر قيمتها بمبالغ وأرقام خيالية ، وقانون استهلاك أراضي البلد الصادر عام ١٩٨٠ ، وغيرها من القوانين التالية التى تتيح مصادرة الأراضي وطرد أصحابها دون الرجوع إلى المحاكم أو إصدار قوانين جديدة من الكنيست (٨).

وقد تعرضت فلسطين لموجات من الهجرة اليهودية الشرسة بدأت بأعداد صغيرة مع نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث هاجر إلى فلسطين ٢٤٠٠٦٨ يهوديا فى الفترة من عام ١٨٩٧ وحتى ١٩٠٣ وهذه الهجرة يطلق عليها الهجرة الأولى . وجاءت بعد ذلك الهجرة الثانية فى الفترة من عام ١٩٠٤ وحتى ١٩١٨ حيث ترك ٢٤٠٠٠٠ من اليهود الروس متوجهين إلى فلسطين ، ولم يفتن العرب أو المسلمون إلى هذه الهجرات ولم تواجه بأية معارضة تذكر .

وفى نهاية الحرب العالمية الأولى ، بلغ عدد اليهود فى فلسطين ٨٠٠٠٠ نسمة . بعد ذلك جاءت الهجرة الثالثة فى الفترة من عام ١٩١٩ وحتى ١٩٢٣ ، وبلغ مجموع المهاجرين فيها ١٨٣٠٣٥ نسمة ، ثم جاءت الهجرة الرابعة فى الفترة من عام ١٩٢٤ وحتى ١٩٣٢ وكانت أكثر عددا حيث بلغ مجموع المهاجرين اليهود ١٦٦٠٩٤ نسمة . وقد شهدت السنوات التالية زيادة كبيرة فى عدد المهاجرين اليهود حيث بلغ عددهم فى الهجرة الخامسة وفى الفترة من عام ١٩٣٣ - ١٩٣٨ م ٩٧٥٠٣ نسمة ، ثم توالى الهجرات بعد ذلك ، وفى الفترة من عام ١٩٣٩ حتى ١٩٤٨ هاجر ٣٣٠١٤١ من

اليهود إلى إسرائيل ، أما الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد إقامة إسرائيل عام ١٩٤٨ فقد بلغ عدد المهاجرين فيها ٢٠٣ ألف مهاجر جاءوا من ٤٢ دولة .

واستمرت هجرات اليهود من البلاد العربية ، وفي عام ١٩٧٦ بلغت ٢٥٨٧٠ من اليهود الذين كانوا يعيشون في البلاد العربية (٩).

جدول رقم (٢). بيان بالهجرات اليهودية منذ إنشاء إسرائيل وحتى عام ١٩٨٣.

| السنوات | ١٩٦٠/١٩٤٨ | ١٩٦٤/١٩٦١ | ١٩٧١/١٩٦٥ | ١٩٧٩/١٩٧٢ | ١٩٨٣/١٩٨٠ |
|---------|-----------|-----------|-----------|-----------|-----------|
| المجموع | ٤٦٩٠٦٣٧ | ٩١٣٠٥٨ | ١١٢٠٨٩٨ | ٦٥٣٠٢٢٨ | ٩٣٠٠٨٤ |

وقد بلغ مجموع الهجرات اليهودية إلى إسرائيل ٩٩٩٠٦٣٠ (حوالي مليون نسمة من المهاجرين الجدد). وتدعى إسرائيل لأسباب سياسية محضة بانحسار الهجرة عنها ، وتقوم إدارة الإحصاء الإسرائيلية بنشر الإحصاء التالي لتهئية الموقف وإسكات الرأي العام العالمي على ظاهرة الاستيطان الفريدة من نوعها والتي لم تحدث من قبل .

جدول رقم (٣). الهجرة اليهودية إلى إسرائيل والمهاجرون منها خلال

من ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٢ بالآلاف (١٠).

| السنة | يهود قادمون | يهود راحلون | صافي الهجرة |
|---------|-------------|-------------|-------------|
| ١٩٧٢ | ٥٥ر٤ | ٩ر٥ | ٤٥ر٩ |
| ١٩٧٣ | ٥٤ر٢ | ٦ر٢ | ٤٨ر٠٠ |
| ١٩٧٤ | ٣١ر٣ | ١٨ر٦ | ١٢ر٧ |
| ١٩٧٥ | ١٩ر٧ | ١٩ر١ | ٠ر٦ |
| ١٩٧٦ | ١٩ر٥ | ١٢ر٥ | ٧ر٠٠ |
| ١٩٧٧ | ٢١ر٣ | ١٤ر٣ | ٧ر٠٠ |
| ١٩٧٨ | ٢٦ر٨ | ١٠ر١ | ١٦ر٧ |
| ١٩٧٩ | ٣٧ر٢ | ٣٠ر٠٠ | ٧ر٢ |
| ١٩٨٠ | ٥٠ر٥ | ٣٣ر٠٠ | ١٧ر٥ |
| ١٩٨١ | ٣٣ر١ | ٢٢ر٩ | ١٠ر٢ |
| ١٩٨٢ | ١٣ر٠٠ | ١٢ر٠٠ | ١ر٠٠ |
| المجموع | ٣٦٢ر٠٠ | ١٨٨ر٢ | ١٧٣ر٨ |

يتضح من الجدول السابق أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل مازالت مستمرة ، وأنه في فترة عشر سنوات (١٩٧٢-١٩٨١) قدم إليها ٣٦٢ر٠٠٠ نسمة من اليهود . وطبقا لما تدعيه إسرائيل فقد هاجر من إسرائيل ١٨٨ر٢٠٠ نسمة من اليهود ليصبح صافي الهجرة ١٧٣ر٨٠٠ نسمة ، وهذا لا يدل على أن الهجرة إلى إسرائيل انحسرت بدليل الأعداد الكبيرة من المستوطنات التي تبنى الآن على الأراضي المملوكة للفلسطينيين والتي

تشق لها الطرق وتقام فوقها الكبارى للربط بينها والتي يُحرم استخدامها على الفلسطينيين (١١).

(٣)

يحتل موقع القدس أهمية خاصة في المجال العسكري نظراً للتضاريس الطبيعية التي تعزز الدفاع عنها ولا يقل موضع المدينة أهمية عن موقعها الجغرافي ، فهي مدينة دينية جمعت بين قدسية المكان وسهولة الدفاع عنها . وقد تعاقبت كثير من الأمم على هذا المكان منذ بداية التاريخ حتى اليوم وشهدت حروباً كثيرة أدت إلى تعاقب البناء والهدم بما لا يقل عن ١٨ مرة خلال تاريخها (١٢).

وبالنسبة للنشأة الأولى لمدينة القدس كانت (تل قل) المطلة على قرية سلوان ، حيث اختير هذا الموقع لأسباب أمنية ، وساعدت عين سلوان في توفير المياه للسكان ، وهجرت هذه النواة وانتقلت إلى مكان آخر هو "جبل بزيتا" ومرتفع موريا الذي تقع عليه قبة الصخرة ، وأحيطت بالأسوار ، ثم بدأت القدس بالانتقال حتى بنى السلطان العثماني عام ١٥٤٢م السور الحالي ، محدداً حدود القدس القديمة جغرافياً بعد أن كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل في مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف بمسجد سعد وسعيد . وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يعد موضعها يستوعب الزيادة السكانية ، فبدأ الامتداد العمراني خارج السور وفي جميع الجهات وظهرت الأحياء الجديدة التي عرفت فيما بعد بالقدس الجديدة ، بالإضافة إلى الضواحي المرتبطة بالمدينة ، وما زالت قرى تابعة لها ، حيث اتخذ الامتداد العمراني اتجاهين أحدهما شمالي غربي والآخر جنوبي . ونتيجة لنشوء الضواحي الاستيطانية في المنطقة العربية فقد جرى العمل على رسم حدود بلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي ، حيث امتد الخط من الجهة الغربية إلى عدة كيلومترات ، بينما اقتصر الامتداد من الجوانب الجنوبية الشرقية على بضعة مئات من الأمتار حيث وقف خط الحدود أمام مدخل القرى العربية المجاورة للمدينة ، ومنها قرى عربية كبيرة خارج حدود البلدية والطور وشعفاط ولقتا ودير ياسين ، سلوان ، العيساوية ، عين كارم ، المالجة ، بيت صفاقا ، رغم أن هذه القرى تتأخم المدينة حتى تكاد تكون ضواحي من ضواحيها .

وفى عام ١٩٢١ ضمت البلدية القديمة قطاعا عرضيا بعرض ٤٠٠م على طول الجانب الشرقى لسور المدينة بالإضافة إلى أحياء باب الساهرة ، وادى الجوز ، الشيخ جراح من الناحية الشمالية ، ومن الناحية الجنوبية انتهى خط الحدود إلى سور المدينة فقط، أما الناحية الغربية والتي تعادل مساحتها أضعاف المسح الشرقى فقد شملتها الحدود لاحتوائها تجمعات يهودية كبيرة بالإضافة إلى بعض التجمعات العربية (القطمون، البقعة، الطالبية، وفا ، من الله) .

وتم توسيع المسح الغربى فى عام ١٩٤٦ لمستوعب الأحياء اليهودية الجديدة التى بقيت خارج التنظيم عام ١٩٣١ ، أما الجزء الشرقى فقد أضيفت إليه قرية سلوان من الناحية الجنوبية ووادى الجوز ، وبلغت مساحة المدينة بهذا المخطط ١٩٣٢١ دونماً منها ٨٦٨ دونماً مساحة البلدة القديمة و١٨٤٦٣ دونماً خارج الأسوار ، وتوسعت المساحة المبنية من ٤٣٠ دونماً عام ١٩١٨ إلى ٧٢٣٠ دونماً عام ١٩٤٨ (١٣) .

ويشير جمال حمدان فى كتابه المدينة العربية إلى أن مدينة القدس مدينة دينية تتميز عن المدن الدينية الأخرى فى أنها ملتقى الأديان الثلاثة ، أما الأراضى المقدسة مكة أو المدينة فمحرمة على غير المسلمين ، وقد يتأثر التركيب البيولوجى للسكان فىأخذ خطأ غريباً شاذاً ، فيسود العجزة والشيوخ والمسنون والمرضى من كل نوع ممن يأملون الشفاء ، وبعضهم يفضل المدينة المقدسة من أجل أن يموت فيها . وبجانب الوظيفة الدينية تعتمد المدينة على حرفة الضيافة والفنادق ، وتحول هذه المدينة إلى سوق كما تكثر تجارة وصناعة الهدايا والتذكارات الدينية ، وقد ظلت القدس عاصمة فلسطين وكبرى مدنها حتى بدأت الهجرة الصهيونية ترجح عليها كفة تل أبيب - يافا - فى الثلاثينيات وما بعدها ، وكان الاستيلاء على القدس من أهم أهداف الاغتصاب الصهيونى ونقل عاصمتها السياسية إليها كمنافسة سياسية تستغل إسرائيل الجانب الدينى . ويدور فى فلك القدس المدنى عدة أقاليم دينية هى بيت لحم مولد المسيح فى الجنوب ، ورام الله فى الشمال ، وبيت جالا فى الغرب ، وكلها تقع وسط الزيتون والكروم وتعمل فى صناعات الهدايا والتذكارات (١٤) .

• وقد شهدت مدينة القدس والمدن التي تسير في فلكها تغيرات استيطانية يهودية ، منذ قرار التقسيم الذي أوصى بتدويل القدس وخضوعها لنظام دولي خاص وإدارتها من قبل الأمم المتحدة ، وحدد القرار حدود القدس الخاضعة للتدويل حيث شملت عين كارم وموتسا في الغرب ، وشعفاط في الشمال ، و"أبوديس" في الشرق وبيت لحم في الجنوب . ولكن حرب ١٩٤٨ أدت إلى تقسيم المدينة ، ولضيق الأراضي والزيادة السكانية صودق على أول مخطط رسمت فيه حدود بلدية القدس عام ١٩٥٢ ، حيث ضمت إلى نفوذ البلدية ضواحي (سلوان) رأس العامود والعوانة أرض السمد والجزء الجنوبي شعفاط ، وأصبحت مساحة البلدية ٦٠ كيلومتر مربع . وفي عام ١٩٥٩ أوصى بتوسيع حدود بلدية القدس وأمانة القدس ، فقامت شركة بريطانية برئاسة كاندل بوضع مشروع لتوسيع حدود البلدية ليصل إلى ٧٥ كيلومتر مربع ، ولكن نشوب حرب عام ١٩٦٧ أوقف المشروع . وإذا كانت مساحة القدس قبل عام ١٩٦٧ قد بلغت ٦٠ كيلومتر مربع فإنه بعد عام ١٩٦٧ بلغت ٧٠ كيلومتر مربع . وبهذا الأسلوب استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تخلق واقعاً جغرافياً وسكانياً في القدس الشرقية ، وأخذ الصراع العربي الإسرائيلي على منطقة القدس مظهراً ديموграфияً ، فقفز عدد السكان اليهود عام ١٩٦٧ إلى ١٦٠ ألف ، شكلوا لأول مرة أغلبية يهودية في الشطر الشرقي من القدس المحتلة . وقد أقيمت ١٥ مستعمرة على هذه الأراضي ، وتم بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ وحدة للعرب . ويعد أن تم الاستيلاء على ٣٣٪ من مساحة القدس بشكل مباشر وعن طريق الاحتلال والقوانين تفتتت العقيلة الإسرائيلية عن أسلوب جديد هو أسلوب المصادرة بالطرق غير المباشرة عن طريق وضع الهياكل التنظيمية لتطوير أى قرية أو مدينة ، كان هدفها الأول خلق وضبط البناء العربي ووقف النمو السكاني لهذه التجمعات والقرى العربية . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقرية العيسوية التي تبلغ مساحتها ١٠٤١٧ دونماً جاء المخطط الإسرائيلي ليختصر مساحتها إلى ٦٦٦ دونماً توزعت إلى ٢٣٪ مساحات خضراء و ٧٪ مبان عامة و ٥٤٪ مناطق تحديد البناء و ١٤٪ للطرق .

أما الهدف الثانى لهذه المخططات ، فهو تقسيم هذه القرى وإحاطتها بالمستعمرات من جميع النواحي بغرض السيطرة عليها وإنهاء وجودها كقرية وتحويلها إلى مجموعة من

الأبنية موزعة بعيدة كل البعد عن جيرانها وتدميرها اقتصاديا واجتماعيا . ويمكننا أن نأخذ قرية بيت صفاقا مثالا أيضا ، فقد تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء بشوارع طويلة وعرضية بالإضافة إلى إحاطتها بالمستعمرات من جميع الجهات ، أما مناطقها الخضراء فقد تحولت إلى مستعمرات مفتوحة ، وبذلك أصبحت القرية ممزقة ومرتبطة اقتصاديا بالسوق الإسرائيلي . أما الهدف الثالث فهو جعل جزء كبير من المخططات مناطق خضراء تكون احتياطيا للتوسعات المستقبلية الإسرائيلية ، حيث يمنع البناء العربى على المناطق الخضراء لتتحول إلى مناطق لبناء المستعمرات (١٥) . فقد صودرت عام ١٩٧٠ أرض تبلغ مساحتها ١٣٩٨ دونماً من أراضي قرية شعفاط وزرعت أشجاراً حرشية وأطلق عليها اسم (غابة راموت) ، وفى عام ١٩٩٠ قطعت أشجار هذه الغابة لتقام عليها مستعمرة حديثة أطلق عليها اسم (ريخس شعفاط) وشيدت ٢١٦٨ وحدة سكنية لليهود المتدينين . أما المثال الثانى فهو المنطقة الجنوبية الشرقية من مدينة القدس حيث يقع جبل "أبوغزيم" وهو عبارة عن محمية طبيعية تم تشجيرها لمنع البناء العربى عليها وخاصة قريتي (صور باهر وأم طوبا) ، وفى عام ١٩٩٠ تم مصادرة ١٨٥٠ دونماً لإقامة مستعمرة على هذا الجبل ، وبعد أن خسر السكان الالتماس المقدم للمحكمة العليا فى عام ١٩٩٤ فقد تم مشروع بناء ٧٥٠٠ وحدة سكنية على هذا الجبل وقُطعت الأشجار. وقد استطاعت إسرائيل إحكام قبضتها على القرى العربية بالقدس بسياج المستعمرات الإسرائيلية ، وأن تسيطر على ٧٣٪ من مساحة القدس كما بدأت فى استخدام أسلوب آخر سبق الإشارة إليه وهو فرض ضريبة الأملاك على السكان العرب منذ عام ١٩٨٥ حتى لا يستطيعوا البناء على أراضيهم ، فضلا عن المساحات التى تعزع من أجل إقامة طرق عليها والتى بلغت ٦٪ من مساحة القدس بهدف وصل المستعمرات بعضها ببعض ومحاصرة القرى العربية وجعل مداخلها ومخارجها تحت السيطرة الإسرائيلية ، لذلك فإن ما تبقى من القدس ٣١٪ فقط من مساحتها . وحتى هذه المساحة عرضة للنهش والابتلاع من جانب المستعمرات الإسرائيلية الأمر الذى أدى إلى الصراع فى جو من عدم التوازن، وفى جو تميل فيه كفة الميزان للجانب الإسرائيلي . وإذا أضفنا التغير السكانى للمدينة والهجرة العربية من القدس باتجاه الضواحي وما تقدمه السلطات من تسهيلات للحصول على الجنسية الإسرائيلية (١٦) ، فضلاً عن التطور الكبير فى عدد المهاجرين اليهود

والراغبين فى الإقامة الدائمة فى القدس كل هذا أدى إلى وجود خلل ديموجرافى كبير ،
وهذا ما توضحه الإحصاءات التالية :

جدول رقم (٥). عند سكان القدس وتوقعات لزيادة ما بين عام ١٨٠٠ - ١٩٦٦ (١٧).

| نسبة | يهود | لنسبة | مسلمون | لنسبة | مسيحيون | لنسبة | آخرون | النسبة | المجموع | النسبة |
|---------|----------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|
| للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية | للمئوية |
| ١٨٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠٠ | | | | | | | ١٠٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٨٣٨ | ٣٠٠٠ | ٢٧ر٣ | ٤٥٠٠ | ٤٠ر٩ | ٣٥ر٠٠٠ | ٣١ر٨ | | | ١١٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٨٧٣ | ٤٠٠٠ | ٢٦ر٧ | ٦٠٠٠ | ٤٠ | ٥ر٠٠٠ | ٣٣ر٣ | | | ١٥٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٨٨٤ | ٢٠ر٠٠٠ | ٥ر٠٠٠ | ١٠ر٠٠٠ | ٢٥ | ١٠ر٠٠٠ | ٢٥ | | | ٤٠ر٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٨٨٧ | ٢٥ر٠٠٠ | ٥٠ | ١٢ر٥٠٠ | ٢٥ | ١٣ر٥٠٠ | ٢٥ | | | ٥٠ر٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٨٩٨ | ٤١ر٠٠٠ | ٦٧ر٤ | ٧ر٠٠٠ | ١١ر٧ | ١٢ر٨٠٠ | ٢١ر١ | | | ٦٠ر٨٠٠ | ١٠٠ |
| ١٩٠٥ | ٤٠ر٠٠٠ | ٦٦ر٦ | ٧ر٠٠٠ | ١١ر٧ | ١٣ر٠٠٠ | ٢١ر٧ | | | ٦٠ر٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٩١٢ | ٤٥ر٠٠٠ | ٦٤ر٣ | ١٠ر٠٠٠ | ١٤ر٣ | ١٥ر٠٠٠ | ٢١ر٤ | | | ٧٠ر٠٠٠ | ١٠٠ |
| ١٩٢٣ | ٣٣ر٩٧١ | ٥٤ر٣ | ١٣ر٤١٣ | ٢١ر٤ | ١٤ر١٩٩ | ٢٣ر٥ | ٤٩٥ | ٨ر | ٦٢ر٧٨ | ١٠٠ |
| ١٩٣١ | ٥١ر٢٢٢ | ٥٦ر١ | ١٩ر٨٩٤ | ٢٢ | ١٩ر٣٣٥ | ٢١ر٤ | ٥٢ | ٠٠ | ٩٠ر٥٠٣ | ٠٠ |
| ١٩٤٤ | ٩٧ر٠٠٠ | ٦١ر٧ | ٣٠ر٦٣٠ | ١٩ر٥ | ٢٩ر٣٥٠ | ١٨ر٧ | ١٠٠ | ١ر | ١٥٧ر٠٨٠ | ٠٠ |
| ١٩٤٦ | ٩٩ر٣٢٠ | ٦٠ر٤ | ٣٣ر٦٨٠ | ٢٠ر٤ | ٣١ر٣٣٠ | ١٩ر١ | ١١٠ | ١ر | ١٦٤ر٤٤٠ | ٠٠ |
| تقريبية | ١٣٨ر٠٠٠ | ٩٩ر٣ | | | ١٠٠٠ | ٧ر | | | ١٣٩ر٠٠ | ٠٠ |
| تشرقية | | | | | | | ٢ | ٠ | ٤٧ر٠٠٠ | ٠٠ |
| لغربية | ١٦٥ر٠٠٢٢ | ٩٨ر٦ | | | ٣٤١٣ | ١ر٤ | | | ١٦٧ر٤٣٥ | ٠٠ |
| تشرقية | | | ٤٩ر٥٠٤ | ٨١ر٨ | ١٠ر٩٨٢ | ١٨ر٢ | ٢ | ٠ | ٦٠ر٤٨٨ | ٠٠ |
| لغربية | ١٩٣ر٠٢٠ | ٩٨ر٦ | | | ٢٦٨٠ | ١ر٤ | | | ١٩٥ر٧٠٠ | ٠٠ |
| تشرقية | | | ٥٧ر٤٠٠ | ٨٢ر٠٠ | ١٢ر٦٠٠ | ١٨ | | | ٧٠ر٠٠٠ | ٠٠ |

يتضح من الجدول السابق أنه في الوقت الذي كان فيه اليهود يمثلون ١٠٪ من السكان في عام ١٨٠٠ وعدهم ألف يهودي ، تضاعف عددهم أكثر من ٤٠ مرة في قرن من الزمن عن طريق الهجرة ليصبحوا ٤٠.٠٠٠ وتصبح نسبتهم ٦٦.٦٪ ، تم يعلو عددهم - بعد حرب ١٩٤٨ - في عام ١٩٥٢ إلى ١٣٨.٠٠٠ ليتضاعف عددهم حوالى أربع مرات ويستقلون بالقدس الغربية حيث بلغت نسبتهم ٩٩.٣٪ ، بينما يصل عدد المسلمين والمسيحيين في القدس الشرقية إلى ٤٧.٠٠٠ أى ما يقرب من ثلث نسبة اليهود المقيمين في القدس الغربية . وفى عام ١٩٦١ بعد عشر سنوات فقط يصل عدد اليهود إلى ٢٢.٠٢٢ في القدس الغربية بينما يبلغ عدد المسلمين في القدس الشرقية ٤٩.٥٠٤ ليصلوا إلى ما يقرب من ٣٠٪ من حجم اليهود . ويشهد عام ١٩٦٦ زيادة في عدد اليهود في القدس الغربية ليصل إلى ٢٠.٢٠ ١٩٣٠ نسمة، بينما يصل عدد المسلمين في عام ١٩٦٦ إلى ٥٧.٤٠٠ نسمة . ثم تحدث التغيرات الديموجرافية الكبيرة بعد حرب ١٩٦٧ وسيطرة إسرائيل الكاملة على القدس وطردها المواطنين العرب وتشجيعهم على مغادرة القدس أو منحهم الجنسية الإسرائيلية . وهذا ما توضحه الإحصاءات التالية :

جدول رقم (٦). عدد سكان القدس في الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٩ (١٨).

| السنة | العدد الكلى | اليهود | النسبة المئوية | غير اليهود | النسبة المئوية |
|-------|-------------|---------|----------------|------------|----------------|
| ١٩١٧ | ٢٨٠.٢٩٠ | ٢١١.٧١٠ | ٧٥.٥٣ | ٦٨.٥٨٠ | ٢٤.٤٧ |
| ١٩٦٨ | ٢٨٩.٠٦٠ | ٢١٧.٢٢٩ | ٧٥.١٥ | ٧١.٨٣٠ | ٢٤.٨٥ |
| ١٩٦٩ | ٢٩٧.٣٩٠ | ٢٢٣.١٥١ | ٧٥.٠٣ | ٧٤.٢٣٩ | ٢٤.٩٧ |
| ١٩٧٠ | ٣٠٦.١٠٠ | ٢٢٩.٩٠٠ | ٧٥.١١ | ٧٦.٢٠٠ | ٢٤.٨٩ |
| ١٩٧١ | ٣١٦.٤٠٠ | ٢٣٧.٣٠٠ | ٧٥.٠٠ | ٧٩.١٠٠ | ٢٥.٠٠ |

| | | | | | |
|---------|---------|------|---------|---------|------|
| ٢٤٨٤٠٠ | ٣٣٠.١٠٠ | ١٩٧٢ | ٢٤٨٤٠٠ | ٣٣٠.١٠٠ | ١٩٧٢ |
| ٢٥٨.٠٠ | ٣٤٣.٢٠٠ | ١٩٧٣ | ٢٥٨.٠٠ | ٣٤٣.٢٠٠ | ١٩٧٣ |
| ٢٦٧.٤٠٠ | ٣٦٠.٦٠٠ | ١٩٧٤ | ٢٦٧.٤٠٠ | ٣٦٠.٦٠٠ | ١٩٧٤ |
| ٢٧٥.٦٠٠ | ٣٧١.٧٠٠ | ١٩٧٥ | ٢٧٥.٦٠٠ | ٣٧١.٧٠٠ | ١٩٧٥ |
| ٢٨٢.٢٠٠ | ٣٨٢.٥٠٠ | ١٩٧٦ | ٢٨٢.٢٠٠ | ٣٨٢.٥٠٠ | ١٩٧٦ |
| ٢٨٨.٨٠٠ | ٣٩٢.٥٠٠ | ١٩٧٧ | ٢٨٨.٨٠٠ | ٣٩٢.٥٠٠ | ١٩٧٧ |
| ٢٩٦.٢٠٠ | ٤٠٣.٤٠٠ | ١٩٧٨ | ٢٩٦.٢٠٠ | ٤٠٣.٤٠٠ | ١٩٧٨ |
| ٣٠٥.٠٠ | ٤١٥.٠٠ | ١٩٧٩ | ٣٠٥.٠٠ | ٤١٥.٠٠ | ١٩٧٩ |

من الجدول السابق يتضح أنه في فترة ثلاثة عشر عاما زاد سكان القدس من اليهود ١٣٤٧١٠ نسمة بينما غير اليهود من المسلمين والمسيحيين لم يزدوا في نفس الفترة عن ٤٢٢٢٠ نسمة ، أى أن نسبة اليهود إلى غيرهم مازالت ثلاثة أضعاف ويمثلون الأغلبية بالنسبة للسكان (أكثر من ٧٥٪).

مما سبق يتضح أن احتلال إسرائيل للقدس الشرقية عام ١٩٦٧ أدى إلى فرض سلطة الأمر الواقع على شطرى المدينة ، وقد أدعت إسرائيل السيادة القانونية على القدس الموحدة وفرضت قوانينها عليها باعتبار أنها عاصمة الدولة العبرية إلى الأبد . ومنذ ذلك الحين تقوم إسرائيل بإحداث تغيير جوهري في واقع المدينة الديموجرافى والتاريخى والحضارى ، وذلك لكى تلغى الطابع العربى للمدينة سعياً إلى استبداله بالطابع اليهودى الاستيطانى. ويؤكد ذلك ما أشارت إليه الإحصاءات السابقة من زيادة كبيرة وغير متوازنة في عدد اليهود ، فضلاً عن أنها تتخذ الخطوات التى تودى إلى تقلص عدد الفلسطينيين (مسلمين ومسيحيين) فى المستقبل مثل مصادرة الأراضى الفلسطينية ، وتقييد التوسع العمرانى الفلسطينى ، وإلقاء الأراضى الفلسطينية دون تخطيط أو إعلانها أرضاً خضراء ، وهدم المنازل الفلسطينية بحجة البناء بدون ترخيص ، ومنع دخول الفلسطينيين

إلى القدس حتى هؤلاء الذين خرجوا منها ، وتشيت الأسر الفلسطينية داخل القدس فهناك زوجات داخل القدس وأزواج في الضفة وفي قطاع غزة لا يستطيعون زيارة زوجاتهم ، ووضع القيود على تحرك الفلسطينيين داخل القدس نفسها.

كل هذه الإجراءات وغيرها تهدف إلى طمس الهوية العربية الفلسطينية في القدس ، بحيث يصبح الفلسطينيون أقلية هامشية ليس لها تأثير يذكر في إطار ما يدعى "القدس الكبرى العاصمة الأبدية لإسرائيل" (١٩) . ويؤكد ذلك آخر التقارير التي وردت إلى جامعة الدول العربية - قسم فلسطين - من دائرة الشؤون الفلسطينية في المملكة الأردنية الهاشمية ، والذي صدر عن سفارة الأردن بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٦/٩/٢١ والذي نجتزئ منه .. لوحظ خلال الشهر المذكور (أغسطس ١٩٦٦) تصعيد في الهجوم الإسرائيلي على مدينة القدس ومواطنيها العرب ، فقد سلم ممثلو الشرطة الإسرائيلية عضو المجلس التشريعي الفلسطيني حاتم عبد القادر أمراً بمنع أي نشاط للسلطة الفلسطينية في القدس الشرقية ، وطُلب منه استناداً لهذا الأمر وقف العمل فوراً في المكتب الذي افتتحه في بيت حينا في القدس ، وقامت الشرطة الإسرائيلية في وقت لاحق بمداخلة المكتب ومصادرة محتوياته وإغلاقه . وأشارت الأنباء الواردة من الأراضي الفلسطينية إلى قيام الحكومة الإسرائيلية بتشكيل طاقم وزاري خاص ، برئاسة كل من وزير المعارف فازيولان هامر ورئيس البلدية (يهودا لوكمرت) لمتابعة تطبيق ما وصفه بسلطة القانون والنظام في القدس الشرقية ، وبهدف الحفاظ على السيادة الإسرائيلية الكاملة في جميع أجزاء المدينة ويعمل هذا الطاقم على بلورة المقترحات والتوصيات للحد من تغلغل السلطة الفلسطينية في مؤسسات وأجهزة التعليم الفلسطيني في الشطر الشرقي من المدينة . ومن الإجراءات التي نفذت في مؤسسات عربية في القدس ما حدث يوم ١٩٦٦/٨/٢٧ من هدم مبنى " اللقلق" في باب حطة داخل البلدة القديمة ، ويشرف هذا المبنى على رعاية الأطفال والمسنين والمتقاعدين من أبناء المنطقة ، وقد تمت عملية الهدم بحجة إجراء ترميمات مخالفة للقانون في قاعة الجمعية الخيرية .. الخ .

كذلك شرعت المؤسسات الاستيطانية الإسرائيلية في تنفيذ قرار وزير الدفاع اسحق مردخاي الذي يقضى بإضافة بيوت جاهزة إلى المستوطنات . وقد كشفت الصحف الإسرائيلية للنقاب عن خطة أعدها مجلس المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع

غزة تهدف إلى زيادة عدد المستوطنين خلال السنوات الأربع المقبلة إلى نصف مليون مستوطن ... وأشارت مصادر صحف إسرائيلية إلى أن نائب وزير الإسكان الاسرائيلي مكيريورس يعتزم بناء ١٥ ألف وحدة سكنية للمتدينين اليهود منها ٦٥٠٠ وحدة فى المدخل الغربى للقدس ... وفى إطار الهجمة الاستيطانية على المدينة المقدسة تم كشف النقاب عن مخطط تعدد وزارة الإسكان الإسرائيلية يرمى إلى إقامة مدينة استيطانية جديدة على بعد عدة أمتار من مدينة القدس شمال مستوطنتى "بنى يعقوب" و"ضبعات زئيف" فى رام الله ، كما تعرضت خمسة منازل أخرى تقع فى حدود بلدية القدس فى العيسوية وصدر باهر وسلوان للهدم بحجة عدم الترخيص ، كما هدمت السلطات الإسرائيلية خمسة منازل أخرى يوم ١٩٩٦/٨/٢٨ قرب طولكرم بدعوى عدم ترخيصها ومنزلاً آخر فى منطقة سميراميس فى رام الله بالحجة نفسها (٢٠) ، الأمر الذى دعا بشارة داود عضو المجلس التشريعى الفلسطينى فى بيت لحم إلى التصريح لجريدة الأهرام إلى أن إسرائيل قد قامت بضم ثلثى أراضى بيت جالا وبيت لحم وبيت ساحور إلى مدينة القدس بقرار من طرف واحد ، وأقامت مستوطنة "جبلو" التى تتسع لأكثر من ٥٠ ألف مستوطن كما استولت على أعلى قمة فى منطقة القدس وهى جبل الرأس فى بيت جالا وبنيت عليه مستوطنة أخرى ... وأطلقت حكومة الليكود الإسرائيلية العنان للجراف الاسرائيلي والمستوطنين للاستيلاء على أراضٍ جديدة وبناء مستوطنات حديثة وفتح الأنفاق ، حتى أصبحت هذه المستوطنات بمثابة السرطان الذى يسرى فى الجسد الفلسطينى .

والخلاصة أن ما جرى فى القدس والمدن والقرى التى حولها هو خنق هذه المدن ، وجميعها يؤكد أن الجراف الاسرائيلي أخطر من المدفع والدبابة فى عملية السلام وفى الأراضى الفلسطينية (٢١) .

(٤)

شهدت فلسطين تغيرات سكانية واجتماعية كبيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين باتفاق الدول الاستعمارية الكبرى مع الصهيونية العالمية فى أواخر فترة الحرب العالمية الأولى وانتداب بريطانيا على فلسطين ، الأمر الذى مهد لإقامة الوطن اليهودى وقيام الكيان الصهيونى بمجرد الانتهاء الانتداب . وقد أثرت هذه الأوضاع السياسية على

سكان فلسطين من الناحيتين الديموجرافية والاجتماعية وبصفة خاصة على المواطنين العرب لأن المؤامرة الاستعمارية الصهيونية استهدفت محو عروبة فلسطين وتهويدها

وفيما يلي أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الدراسة :

- منذ قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ واحتلال معظم فلسطين وبعض الأراضي العربية بعد حرب ١٩٦٧، الأمر الذي أدى إلى الهجرات اليهودية المتتالية من الخارج ، ومصادرة مساحات كبيرة من أراضي عرب فلسطين ، وتشجيع الاستيطان ، وتدفق الأفواج الكثيرة من اليهود إلى فلسطين ، أدى كل هذا إلى تغير الميزان الديموجرافي لصالح إسرائيل . ففي عام ١٩٧٠ ارتفعت نسبة اليهود لتبلغ نسبتهم إلى المواطنين العرب أكثر من ثلثي السكان ، وفي عام ١٩٨٢ ارتفعت نسبة المواطنين العرب إلى حوالي ٣٦٪ من سكان فلسطين، ومن المتوقع أن ترتفع إلى حوالي ٣٨٪ في عام ١٩٩٠ وإلى حوالي ٤١٪ عام ٢٠٠٠ (٢٢).

- تؤكد الإحصاءات الفلسطينية هذه الزيادة حيث بلغ عدد السكان الفلسطينيين في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٧ (١٠٠٠ ٥٦٥ ١ نسمة) ، وأن سكان القدس في نفس العام بلغ عددهم (١٤١ ٠٠٠ نسمة) من الفلسطينيين الصامدين فضلا عن سكان المدن التي تدور في فلك القدس كأريحا التي بلغ سكانها (١٠٨ ٠٠٠ نسمة) والخليل (١٧٢ ٩٠٠ نسمة) (٢٣).

- ولكن مما لا شك فيه أن الاستيطان الاسرائيلي المستمر، عن طريق بناء مستوطنات جديدة وجلب هجرات خارجية لليهود إلى فلسطين وإلى القدس ، قد أدى إلى إحداث خلط سكاني كبير نظرا لتعدد مصادر الهجرة اليهودية (من ٤٢ دولة) مختلفة ، الأمر الذي أدى إلى إحداث نوع من عدم التجانس السكاني ، كما أدى إلى تدهور سكان جماعة الأقليات التي تصاحبها عموما مكانة اجتماعية واقتصادية دنيا وفرص سياسية أقل (٢٤) وهذا ما ينطبق بدقة على الفلسطينيين عامة وعلى الفلسطينيين في القدس بصفة خاصة .

- أن الهجرات اليهودية المتعاقبة والتي مازال بابها مفتوحاً إلى فلسطين ، ستؤدي إلى عدم التوازن الديموجرافي في القدس وفي فلسطين كلها .

- وجود الصراع العرقي واستمراره بين اليهود والعرب، وذلك للنظرة العرقية لليهود وإحساسهم وشعورهم بالتمييز باعتبار أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل شعوب الأرض جميعاً .

- بناء المزيد من المستعمرات اليهودية فى القدس وهدم المنازل المملوكة للفلسطينيين بحجة أنها بنيت بغير تصريح أو لدواعى الأمن ، وغلق مناطق بأكملها للتدريب أو غيره من المبررات الإسرائيلية ، سيؤدى فى النهاية إلى مزيد من التغيرات الديموجرافية فى المدينة .

- أوضحت الدراسة الزيادة الرهيبية فى عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين بصفة عامة وإلى القدس بصفة خاصة ، وبالذات من جانب المتدينين اليهود والمتعصبين منهم ، مما يودى إلى زيادة الصراع داخل مدينة القدس .

- أثبتت الدراسة خلق مناطق للتوتر والصراع الدائم داخل مدينة القدس وفلسطين ومنطقة للشرق الأوسط بأسرها ، نتيجة مصادر التمايز العرقية والسلالية واللغوية والدينية وغيرها ، الأمر الذى يصاحبه عادة عدم المساواة فى الفرص ومن ثم فى المكانة الاجتماعية والاقتصادية .

الهوامش والمراجع

1- W. Gade & K.Hatt: Methods in Social Research. McGraw Hill Comp. New York, 1952, PP. 341 - 342.

٢- انظر معجم العلوم الاجتماعية ، تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧ ص ٢٧.

3- T.R. Ford & F. Dejon: Social Demography, Prentice Hall Inc. N.J. 1979, PP 7-8 .

٤- شاكر سليم : قلموس الأنثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، الطبعة الأولى (١٩٨١) ، الكويت ، ص ٤٨ ، ٣٠٠ ، ٦٣٠ .

٥- انظر معجم العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٦٢٩ .

٦- حسن عبد القادر صالح : سكان فلسطين ديموجرافيا وجغرافيا، الأردن ، دار الشرق للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

٧- انظر مقال فكرى مكرم عبيد "هذا الرجل الصغير أكبر عدو لإسرائيل" ، جريدة الأهرام ، ١٢ أكتوبر ١٩٦٦ ، السنة ١٢١ العدد ٤٥١٢٢ ، ص ١٠ .

- ٨- انظر عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦.
- ٩- المرجع السابق ص ٥٨.
- 10- Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel, 1982, p. 32
- ١١- مسعود الحناوي : شاهد عيان على المستوطنات ، جريدة الأهرام ، ٢٩ أكتوبر ١٩٩٦ ، السنة ١٢١ ، العدد ٤٠١٢٤.
- ١٢- خليل التفكجي : كيف استوطنوا القدس - تهويد القدس حقائق وأرقام ، بحث مقدم إلى مؤتمر القدس مدينة السلام - جامعة الدول العربية - ١١ شوال ١٤٠٧ هـ / ١٢ مارس ١٩٩٥م.
- ١٣- نفس المرجع السابق ، ص ٢.
- ١٤- جمال حمدان : المدينة العربية ، كتاب الهلال ، العدد ٥٤٩ سبتمبر ١٩٩٦ ، ص ١٢٦ ، ١٣٠ ، ٢٩٣.
- ١٥- خليل التفكجي ، مرجع سابق ، ص ٢-٥.
- ١٦- خليل التفكجي ، مرجع سابق ، ص ٦.
- ١٧- سمير جريس : القدس والمخططات الصهيونية - الاحتلال والتهويد ، مؤسسة التراث الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢١٥-٢١٦ .
- ١٨- نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
- ١٩- راجع جريدة الأهرام ، العدد ٧٨٦ ، السنة الثامنة عشرة ، ٩ أكتوبر ١٩٩٦ .
- ٢٠- جامعة الدول العربية : تقرير دائرة الشؤون الفلسطينية في المملكة الأردنية الهاشمية عن آخر تطورات الضفة الفلسطينية ونشاطات دائرة الشؤون الفلسطينية . صدر عن سفارة المملكة الأردنية الهاشمية بالقاهرة بتاريخ ١٩٩٦/٩/٢١ ص ١-٥ .
- ٢١- جريدة الأهرام ، العدد ٤٠١٢٢ ، السنة ١٢١ ، ١٢ أكتوبر ١٩٩٦.
- ٢٢- حسن عبد القادر صالح ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣.
- ٢٣- منظمة التحرير الفلسطينية المكتب المركزي للإحصاءات والمصادر الطبيعية الفلسطينية ، المجموعة الإحصائية الفلسطينية ، العدد السابع .
- 24- P.M Hauser & D. D. Duncan, The Data and Methods in the Study of Population , The University of Chicago Press, 1959, P.48- 52.